دور القضاة والعلماء في مجتمع دولتي مالي وصنغي
٦٣٦ ـ ١٠٠٠ هـ / ١٢٣٨ ـ ١٥٩١ م

بحث مستل من رسالة ماجستير بعنوان

الحياة الاجتماعية في دولتي مالي وصنغي
(٦٣٦ :١٠٠٠هـ /١٢٣٨ :١٥٩١م)

الأستاذة

دينا أحمد عبد الجواد

باحثة ماجستير -قسم التاريخ الإسلامي
كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

تحت إشراف

أ .د . عبد الباري محمد الطاهر
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
قسم التاريخ الإسلامي – كلية دار العلوم
جامعة الفيوم
(مشرفا رئيسا)

أ .د . كرم كمال الدين الصاوي
رئيس قسم التاريخ الإسلامي
بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية
جامعة القاهرة
(مشرفا مشاركا)

ملخص:

القضاة هم النخبة الدينية من العلماء والفقهاء، والتي كانت أكثر شهرة واحتراماً، وعدت من أرقي الطبقات في المجتمع، وقد نبعت أهمية هؤلاء العلماء والفقهاء من خلال دورهم المؤثر في حياة المجتمع الفكرية، ويعد العلماء ورثة الأنبياء، لما لهم من رسالة سامية، ولهذا حظوا بمكانة مرموقة واحترام كبير لدى الخاصة والعامة في مجتمع دولتي مالي وصنغي.

كان العلماء دور بارز في مجتمع دولتي مالي وصنغي، وكان لهم الاحترام والتقدير من جميع طبقات المجتمع سواء كانت العامة أو الخاصة، فقد كان لهم دور في التصدي للعادات والتقاليد الوثنية التي كانت سائدة في مجتمع دولتي مالي وصنغي، وكان لهم دور ايجابي اتجاه خدمة المجتمع، منها محاربة الظلم والفساد، وإرساء أسس التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع، وحث الطبقة الخاصة على مساهمة في النشاط الخيري؛ فكانوا لا يخشون في الله لومة لائم.

الكلمات الافتتاحية:

السودان الغربي، مالي ، صنغي ، القضاة ، العلماء .

Abstract:

Judges are the religious elite of scholars and jurists, which was more famous and respected, and considered one of the highest classes in society. The importance of these scholars and jurists stemmed from their influential role in the intellectual life of the community. Prestigious and highly respected by both the private and the public in the society of the Mali and Songhai countries.

Scholars played a prominent role in the society of Mali and Songhai, and they were respected and appreciated by all classes of society, whether public or private. They had a role in confronting the pagan customs and traditions that prevailed in the Mali and

Songhai community. Including fighting injustice and corruption, laying the foundations of social solidarity among the classes of society, and urging the special class to contribute to charitable activity; They were not afraid of the blame of the blamer in God.

الدراسات السابقة:

- إيهاب شعبان عبد الشافي سالم: القضاء في دولتي مالي وصنغي وأثره الحضاري في المجتمع (٦٣٦ ـــ ١٠٠٠ هـــ / ١٢٣٨ ـــ ١٥٩١ م)، وهي رسالة ماجستير، وتناولت التحدث عن القضاء، وأهم قضايا التي تناولها العلماء في دولتي مالي وصنغي.
- سحر عنتر محمد أحمد مرجان: فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (٦٢٨ ـــ ١٠٠٠ هـــ / ١٢٣٠ ـــ ١٥٩١ م)، وهو كتاب، وتناول دور فقهاء المالكية فقط.
- سوزي أباظة: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي (٨٩٨ ـــ ٩٩٩ هـــ / ١٤٩٣ ـــ ١٥٩١ م)، وهي مقالة، تحدثت فيها د سوزي عن القضاء والتعريف به، ودراسة لأهم القضايا التي حكم فيها القضاة.

المناهج المعتمدة: المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي

وذلك لأن الموضوع المدروس موضوع تاريخي من خلال دراسة التسلسل الزمني لفترات حكم الملوك، وصف أوضاع الحياة الاجتماعية في العادات والتقاليد، وتحليل بعض النصوص والروايات وبعض النوازل الفقهية.

مقدمة:

القضاة هم النخبة الدينية من العلماء والفقهاء، والتي كانت أكثر شهرة واحتراماً، وعدت من أرقي الطبقات في المجتمع، وقد نبعت أهمية هؤلاء العلماء والفقهاء من خلال دورهم المؤثر في حياة المجتمع الفكرية [١]، ويعد العلماء ورثة الأنبياء، لما لهم من رسالة سامية، ولهذا حظوا بمكانة مرموقة واحترام كبير لدى الخاصة والعامة؛ خاصة وأن الإسلام دين اهتم بالعلم، ففي القرآن الكريم أشارت كثيرة إلى مكانة العلم والعلماء، ومن هذه الآيات التي تشيد بسمو مكانة العلماء قوله تعالي: " إنما يخشى الله من عباده العلماء " [٢]، وقوله تعالي: " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات " [٣].

ومن الأحاديث النبوية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم " من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " [٤].

هذه الآيات والأحاديث الشريفة التي تعظم من شأن العلماء وترفع من قيمتهم، جعلت لهؤلاء العلماء مركزاً مرموقاً في مجتمع السودان الغربي، وحظوا باحترام كبير لدى العامة والخاصة، وهذا الاحترام والتقدير الذي حظي به العلماء، جاء نتيجة لعدلهم وسلوكهم الحسن واستقامتهم؛ فكانوا لا يخافون في الله لومة لائم.

احتوت خطة العمل حسب المادة العلمية، على مقدمة وفصلين وخاتمة إضافة إلى قائمة للمصادر والمراجع.

وتناولت في المقدمة تمهيداً للموضوع، أما الفصل الأول فتطرقت فيه لمكانة القضاء والعلماء في مجتمع دولتي مالي وصنغي، ثم الفصل الثاني وكان بعنوان العلماء ودورهم في مجتمع دولتي مالي وصنغي، وانقسم إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول موقف العلماء في خدمة المجتمع، ثم المبحث الثاني تناول موقف العلماء اتجاه العادات السلبية، وأخيراً المبحث الثالث وتناول الدور الاجتماعي للعلماء، وانقسم إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول وتناول محاربة العلماء للظلم والفساد، والثاني إسهام العلماء في نشاط المجتمع الخيري، أما الثالث فكان الإصلاح بين الناس وإرساء أسس التكافل الاجتماعي.

الفصل الأول
مكانة القضاء والعلماء في مجتمع دولتي مالي وصنغي

كان ملوك مالي شديدي الاحترام والتقدير للقضاة والعلماء، وقد ظهر ذلك في لبس الفقهاء والقاضي والخطيب للطليسان في سائر الأيام، وكانوا السودان لا يلبسونه إلا في العيد (٥)، كما أن القاضي هو الذي سُمح له فقط من الرعية بتحية سلطان دولة مالي بالمصافحة، وبقية الشعب غير مسموح لهم بذلك (٦).

وفي عهد السلطان منسا موسى (٧١٢ – ٧٣٨ هـ/١٣١٢ –١٣٣٧ م) حظي بعض القضاة والفقهاء بمكانة مرموقة، فالقاضي مسمى عندهم في لغة الماندنجو باسم أنفار قم، وقم قبيلة ومنها يكون القاضي، كان من المقربين لمنسا موسى الذي كان يوقره ويحترمه كثيراً؛ حيث كان هو الوحيد الذي يصافح السلطان على غير عادة أهل مالي في التحية للملوك (٧).

ومن الدلائل على مدى المكانة التي احتلها القاضي لدى الخاصة والعامة، أن بيت القاضي كان ملجأ لجميع الناس من العامة والخاصة من بطش الحكام، وذلك إذا تعرضوا لظلم من جانب السلطة الحاكمة، وهذا ما حدث في عهد منسا سليمان (٧٤١ – ٧٦٢ هـ / ١٣٤١ – ١٣٦٠ م)، حيث قامت زوجته قاسا بالتآمر عليه مع ابن عمه جاطا، وما إن افتضح أمرهما، عزم منسا سليمان على معاقبة زوجته وقتلها، فهربت واستجارت بدار الخطيب بعد عدم تمكنها من المسجد فلم يلحقها أي أذى (٨).

وقد تمتع أيضاً القضاة بمكانة كبيرة في عهد دولة صنغي، فالأسكيا محمد الكبير (٨٩٨ – ٩٣٥ هـ / ١٤٩٣ – ١٥٢٩ م) أصدر قانوناً بإعفاء أحفاد الفقيه مور محمد هوكار من الضرائب، بحيث لا يطالبهم أحد بشيء حتى الضيافة، ومنع عنهم ظلم الحكام، لما حدث للعلماء في عهد سني علي، وإذا دخل عليه أحد العلماء قام لهم إجلالاً وتقديراً، وأجلسهم على سريره (٩)، ولاشك في أن تبوأ العلماء هذه المكانة مرجعه إلى ما لاقوه من رعاية وتبجيل من جانب حكام السودان.

ونظراً لهذه المكانة التي تبوأ بها القضاة والعلماء، حرص الأساكي على التقرب إليهم، عن طريق إعطائهم الكثير من الأموال والهدايا والهبات لهم، والتوسع على قضاة تنبكت، فقد قدم الأسكيا محمد الكبير للقاضي محمود كعت ت ١٠٠٣ هـ / ١٥٩٣ م جميع ما يلزمه لتزويج بناته الأربع، وتقديم الهدايا والكسوات لأبنائه الخمسة، وكذلك حصل على مزرعة وعبيدها، وأربعين بقرة حلوب، بالإضافة إلى جميع الإعفاءات التي تمتع بها [١٠].

ومما يدل على احترام القضاة وعدم خوفهم من السلطان، عندما ذهب أسكيا إسحاق (٩٤٦ - ٩٥٦ هـ / ١٥٤٠ - ١٥٤٩ م) إلى مدينة جني، وسأل العامة عمن يظلم المسلمين، فسكت الناس، وواجه القاضي محمود بغيع برد لو صدر عن أي فرد غير العلماء لكان جزاؤه القتل، وأخبره القاضي محمود بأنه أظلم الناس، وأنه أبو كل ظالم، فكان رد أسكيا إسحاق الدهشة والحيرة من رد القاضي محمود، ومنع الناس من أن يؤذوا القاضي محمود، وندم على ما فعل، وكان جزاء القاضي محمود أن عينه قاضياً على مدينة جني [١١].

وهكذا يظهر أن فئة القضاة والعلماء في مجتمع السودان الغربي، وخاصة مالي وصنغي تمثل القلب النابض للمجتمع، الذي إذا توقف شلت عنه الحركة، فعندما يتعطل منصب القضاء يختل أمن المجتمع، لأن له الفضل في الحفاظ على الاستقرار والتوزان، وأن حاجة المجتمع إليهم تعتبر حاجة ماسة وضرورية [١٢]، ولذا فإنهم يستحقون كل تقدير واحترام لما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم في العلماء والسلطان، فيقول رسول الله: " صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: السلطان، والعلماء " [١٣].

زاد نفوذ العلماء إلى حد كبير في عهد دولتي مالي وصنغي؛ بل في العالم الإسلامي بأسره، فكانوا يحظون باحترام كبير لدي الخاصة و العامة، وكانت لهم شفاعة نافذة عند السلاطين؛ حتى في الأمور التي تتعلق بمن أساء للسلطان [١٤]؛ بل وكان السلاطين كثيراً ما يطلبون من الفقهاء المشورة وإبداء الرأي، ويتضح هذا من أسئلة الأسكيا محمد للفقيه المغيلي [١٥].

الفصل الثاني: العلماء ودورهم في مجتمع دولتي مالي وصنغي

المبحث الأول: موقف العلماء في خدمة المجتمع

بلغ العلماء والفقهاء مكانة متميزة في المجتمع وتركوا آثاراً واضحة في الحياة السودانية فطبعوها بطابع المذهب المالكي، فهم العارفون بأحكام الشرع، والمنظرون لسياسة الحكام، والمفتون بالشرعية أو عدم الشرعية لتوجهات هؤلاء الحكام (١٦).

فقد حاولوا العلماء جاهدين تبني المفاهيم الإسلامية على مختلف طبقات هذا المجتمع الذي حافظ على الكثير من العادات والتقاليد ذات الأصول الوثنية (١٧)، وقد بذل العلماء جهوداً كبيرة في مقاومة فساد الأجواء المحيطة بهم، ومحاربة الفساد والمفسدين في تلك البلاد، ومحاولة الحفاظ على الآداب العامة في الطرقات والمناسبات وغير ذلك، وقد حملت أسئلة فقهاء المالكية إلى الإمام جلال الدين السيوطي، وكذلك أسئلة الأسكيا محمد إلى الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي كثيراً من هذه المشكلات لاستبيان رأي الدين فيها (١٨).

من عادات مجتمع دولتي مالي وصنغي الإيجابية تحفيظ القرآن الكريم، فقد قام بعض العلماء بتحفيظ القرآن لبعض الطلبة الذين يقومون بدورهم بتحفيظه للأطفال، والأولاد كانت تأتيهم بكثرة، وقد كانوا يقيدون هؤلاء الأولاد إذا ظهر منهم تقصير في حفظ القرآن فلا ترفع عنهم القيود حتى يحفظوه (١٩)، وقد أشار ابن بطوطة في رحلته لدولة مالي لهذه العادة (٢٠)، ويدل هذا على مدى حرص وجهود العلماء في تعليم وتحفيظ الأولاد القرآن الكريم، وقيم ومبادئ المجتمع المسلم.

وأشار القلقشندي إلى أن ملوك دولة مالي ورعاياهم كانوا متمسكين بالإسلام ويحافظون على أداء فريضة الحج، فبنوا بتلك البلاد المساجد والجوامع، وأقاموا بها الجمع والجماعات والأذان، واستقدموا الفقهاء والعلماء من البلاد الإسلامية، وتفقهوا في الدين الإسلامي (٢١).

ونرى من العلماء من أعان الطبقات الفقيرة لينال أبناؤهم نصيبهم من التعليم، فكان منهم من ابتنى مكاناً للدراسة وتعليم القرآن على نفقته الخاصة، ومن أشهر هؤلاء القاضي أبي القاسم التواتي المتوفى عام ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م، والذي ابتنى مكتباً بجوار المسجد لكي يعلم الطلاب القرآن الكريم (٢٢)، ونظراً لتلك المجهودات، ولحرص هذه الطبقة على التعليم الذي كانوا يولونه احتراماً شديداً زاد إقبال العامة على التعليم، وعلى شراء الكتب المخطوطة القادمة من شمالي أفريقيا (٢٣).

المبحث الثاني: موقف العلماء اتجاه العادات السلبية في دولتي مالي وصنغي:

تشير المصادر إلى بعض العادات الاجتماعية في مدن السودان الغربي، والتي تشوب عقيدة المسلمين، الأمر الذي جعل البعض يشير إلى أن مجتمع السودان الغربي على الرغم من الحماس الذي أبداه تجاه الإسلام، لكنه ظل ضعيف التأثر بالتعاليم الإسلامية وأن الإسلام لم يكن له أثر يذكر في هذا المجتمع (٢٤).

فقد انتشار في دولتي مالي وصنغي عادة التتريب، وهذه الظاهرة تعتبر من التقاليد القديمة التي حافظ عليها المجتمع السوداني طيلة العصر الإسلامي (٢٥)، وإذا قارنا هذه العادة بما كان يحدث في الدول الإسلامية المعاصرة، ففي العصر المملوكي جرت هذه العادة عند المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م) أن كل من دخل عليهم كان مجبراً على الركوع والسجود ثم تقبيل الأرض بين يدي السلطان (٢٦).

وإذا قورنت هذه العادة بأحد السلوكيات المعتمدة في المراسم التشريفية لدى المرينيين (٦٦٨ – ٨٦٩ هـ / ١٢٦٩ – ١٤٦٤ م) بالمغرب الأقصى الذين عاصروا دولة المماليك بمصر، ودولة مالي بالسودان الغربي، يشهد ابن مرزوق أن السلطان أبي الحسن المريني كان يمنع البعض من تقبيل الأرض بين يديه (٢٧)، وكان يمنع القضاة والعلماء من تقبيل يده (٢٨)، وهل فشل الإسلام في احتواء الذهنية المصرية في العصر المملوكي بسبب هذا التقليد؟ (٢٩).

لكن بمرور الوقت استطاع الإسلام أن يغير من تلك العادات والتقاليد بين طبقات المجتمع، واستطاع الإسلام مع نهاية القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي أن يسود وتتغلغل مبادئه في قلوب هذا المجتمع، وصارت أقدامه في الإسلام راسخة، ومما يؤكد ذلك عندما انتقد الفقيه أحمد بن محمد بن سعيد سبط على الأسكيا داوود هذه العادة، وهو ما يؤكد محاربة العلماء لهذه العادة (٣٠).

وكانت من العادات السلبية في دولتي مالي وصنغي، ويأتي على رأسها اعتقادهم في السحر والأساطير والخرافات، وهذا الأمر يشير إلى غضب العلماء الذين أنكروا تلك العادات السيئة، فكان لهم موقف صارم تجاه هؤلاء السحرة ومن يتعاملون معهم؛ فكانوا يحاولون إقناعهم هم ومن معهم بالبعد عن السحر، فإذا فشل إقناعهم لجأوا إلى الحكام لتحريضهم على هؤلاء السحرة، ويطالبونهم بقتل السحرة نظراً لخطورتهم ونفوذهم وهيبتهم الكبيرة لدى الأهالي (٣١).

ومن الظواهر التي عاب عليها الرحالة ظاهرة عدم احتشام بعض النساء من الرجال، وعدم الالتزام بالعفة وستر العورة، واختلاطهم بالرجال في الأسواق والطرقات، وعدم احتجاب المرأة عن الأجانب (٣٢)، ولكن بعض هذه الظواهر كانت في حدود ضيقة وتمارس في سرية تامة لأن القضاء كان لا يتوانى عن معاقبة المفسدين (٣٣).

كذلك من الظواهر غير الإيجابية ظاهرة العري، وكشف عورات النساء الحرائر والإماء حتى وإن كانت بنت القاضي (٣٤) فمع رسوخ قدم الإسلام في تلك المناطق كان سبباً في اختفاء هذه الظاهرة تدريجياً، واتجاهها نحو العفة وستر العورة، فالإسلام يحرم كشف العورات، لكن الأقوام العارية التي تعتنق الإسلام لا تتخلى بمجرد إسلامها عن العري، فالعري ظاهرة اجتماعية شأنها شأن غيرها من الظواهر لها جذورها في تقاليد القوم وطباعهم (٣٥)، فليس من المنتظر أن يتخلى الناس عن عاداتهم في يسر وسهولة، لكن اعتناق الإسلام أدى مع مرور الوقت إلى اختفاء

العري، ويختفي العري عادة بين علية القوم وطبقة الخاصة قبل أن يختفي بين طبقة العامة والفقراء، وهو يختفي في الحواضر قبل البوادي، ويختفي بالنسبة للكبار قبل الصغار، والنساء قبل الرجال (٣٦).

وكان للعلماء مواقف تجاه ظاهرة العري، خاصة قضاة صنغي حينما أفتوا للأسكيا محمد (٨٩٩ - ٩٣٤ هـ / ١٤٩٣ - ١٥٢٨ م) بما يقتضيه الشرع الإسلامي، وبالتالي أرغم الأسكيا محمد المرأة على إتباع قواعد السلوك والآداب الإسلامية الحميدة خاصة في الزى والملبس، وفي عدم الاختلاط بالرجال إلا في حدود الشرع، حيث أمر رجال الشرطة بعدم التردد في القبض على الرجل المصاحب للمرأة الأجنبية في السوق والطرقات، ثم يوضع في السجن (٣٧).

وكانت ظاهرة العري هي مسألة ترتبط بطبيعة الذهنية السودانية التي تعودت منذ أجيال وقرون على التعامل هكذا، ومع تلاحق القرون اكتسبت الظاهرة مصداقية اجتماعية، صعب على التعاليم الإسلامية أن تقاومها وتنحيها في فترة قصيرة من الزمن، وكان على الإسلام أن ينتظر طويلاً حتى يتمكن المجتمع السوداني من إحداث قطيعة جذرية مع عادة العري، وهذا ما حدث بالفعل في القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي (٣٨).

والواضح أن ظاهرة العري هذه لها علاقة وصلة وثيقة بمسألة حرية العلاقات أو الاختلاط بين الجنسين في بلاد السودان الغربي، حيث وجدت التعاليم الإسلامية مرة أخرى صعوبة في تقنين هذه الظاهرة والحد من آثارها السلبية، وظهر في أفعال السلطان منسا موسي (٧١٢ - ٧٣٧ هـ / ١٣١٢ - ١٣٣٧ م) على الرغم من تدينه ومحافظته على الصلاة، كان لا يلزم نفسه حدود الشرع الإسلامي في الزواج، وكان يعتقد أن منصبه كملك يبيح له اتخاذ ما شاء من الأزواج، وعندما علم بحدود الشرع في المسألة توقف عن سلوكه (٣٩).

كما أشار الأسكيا محمد الكبير في رسالته للمغيلي على مخالفات سني علي، وخروجه على تعاليم الشريعة الإسلامية في كثير من الأحيان (٤٠)، وتساءل أسكيا محمد عما يقع فيه عامة المجتمع من اعتقاد بأن هناك من ينفعهم ويضرهم غير الله سبحانه وتعالي، وعبادتهم للأصنام، وتعظيمهم لبعض الأشجار، وقيامهم بذبح الذبائح عند هذه الأصنام، واستشاراتهم للكهنة في كل أمورهم، وكانوا لا يقطعون أي أمر دون الرجوع إليهم (٤١).

كما أشار السيوطي من خلال الرسالة التي أرسلها رداً على الرسالة الواردة إليه من التكرور لتلك العادات السيئة في المجتمع منها أن البعض كانوا يتزوجون بغير صداق، ومنهم من يتزوج النساء كثيرات الأموال ويعيش على رزقهن (٤٢)، ومنهم قوم لا يعدون الطلاق فليس له عندهم حد، ومنهم من يعيد زوجته بغير محلل، أو يشتري لها المحلل، أو تشتريه هي بنفسها، ومنهم من لا يعتد بعدة المرأة؛ فينكحون من أرادوا في عدتها (٤٣)، هذا وقد عمل العلماء على مجالس الوعظ والإرشاد الديني لمحاربة هذه الظواهر السلبية، وكانوا يفتون بتحريمها، كما أنهم كانوا ينبهون الحكام إلى ضرورة معاقبة المشعوذين والدجالين.

كذلك من الظواهر السلبية ظاهرة استرقاق الأحرار ويدعوهم بالعبيد، فإن مات من ادعى عليه ذلك لم يقسموا ماله بين ورثته لأنهم رقيق في نظرهم وإن حاول بعض القضاة أو المصلحين تذكيرهم بأنهم أحرار كادوا يقتلونهم ويقولون: "... هؤلاء عبيد أتباع للسيف ..."، ومنهم من يسخر منهم ويأخذون أموالهم ولا يضرهم في أنفسهم، ومنهم من يبيعهم بالتنافس والتنازع (٤٤).

لقد كانت الممارسات والمعتقدات المخالفة للشريعة الإسلامية أكثر شيوعاً في الريف، وعند دخول الإسلام هذه المناطق أرسي جذوره شيئاً فشيئاً، فالإسلام بدأ أولاً في المدينة وبين الطبقات العليا، نظراً لقوة المدينة سياسياً واقتصادياً

واجتماعياً وذلك بفضل جهود عدد من القضاة والعلماء والفقهاء المسلمين منذ القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي (٤٥).

واستطاع الإسلام التكيف مع الأوضاع السائدة، حتى أصبح يطلق على الإسلام هناك أنه " إسلام أفريقي متسامح "، واستطاع الإسلام بنهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي أن يسود كل منطقة منعطف النيجر، الأمر الذي جعل الفقيه أحمد بابا يقول: "... وصارت أقدام أهل سنغي في الإسلام راسخة..."(٤٦).

وبرغم أن تلك العادات والممارسات المخالفة للشريعة الإسلامية كانت أكثر انتشاراً، إلا أن العلماء كان لهم موقف صارم تجاه هذه العادات، فقد كان القضاة والفقهاء يمثلون الطبقة الدينية المثقفة في مجتمع السودان الغربي، فقد كانوا موضع نظر الحكام والمجتمع على السواء يسترشدون برأيهم، وينتظرون جهودهم الإصلاحية. فالإصلاحات الاجتماعية أصبحت عبئاً ثقيلاً على عاتق هؤلاء العلماء، الذين وصفهم " أحمد بابا " بأنهم خلقوا لمصالح العباد ومنافعهم لأنهم يبينون للمجتمع ما يحل وما يحرم، ويوصون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والفتن، وأن اشتغالهم بذلك إنما هو من باب شكر الله على نعمته عليهم بالعلم (٤٧).

كما كان للعلماء دور كبير تجاه ظاهرة العري، واختلاط النساء بالرجال في مجتمع السودان الغربي، ففي دولة صنغي أفتى القضاة والفقهاء الأسكيا محمد بما يقتضيه الشرع تجاه هذه الظاهرة، وبلغ في صرامة مراقبة سلوك الرعايا أن رجال الشرطة في عهده كانوا لا يترددون في إلقاء القبض على أي رجل يشاهدونه في صحبة امرأة أجنبية عنه، ثم يضعونه في السجن (٤٨).

كان موقف العلماء من ظواهر العري والاختلاط، منهم كان متشدداً ومطبقاً لشرع الله حسبما جاء في القرآن والسنة النبوية، فالفقيه المغيلي (٤٩) أفتى للأسكيا الحاج محمد بأنه يجب عليه كأمير للمؤمنين أن يجتهد في منع الاختلاط بين

الرجال والنساء، وأن يجعل أمناء يحتسبون على ذلك ليلاً ونهاراً، يطوفون بالليل والنهار في الطرقات، وكل من يجدونه يتكلم مع أجنبية أو ينظر إليها، كانوا يأخذونه إلى متولى خطة الحسبة، فيعنفه ويزجره في السجن (٥٠).

مما يدل على دور العلماء المصلحين الذين قاموا بتصحيح المفاهيم الخاطئة، وخاصة بعد عهد سني علي الذي أحدث انتكاسة للشريعة الإسلامية الصحيحة بعد عهد منسا موسي سلطان مالي، فظهرت صور كثيرة للفساد الاجتماعي والديني طوال عهده وحتى بعد وفاته، فبذل هؤلاء العلماء جهداً كبيراً لإصلاح هذه العادات وفق الشريعة الإسلامية (٥١).

وهو الأمر الذي جعل هؤلاء العلماء يحاربون هذه الظواهر المخالفة والسلوكيات الخاطئة، وذلك من خلال مجالس الوعظ والإرشاد الديني بالإضافة إلى الخطب الدينية مثل خطبة الجمعة. فمثلاً ظاهرة استرقاق الأحرار وبيعهم على أنهم أحرار تعتبر من أهم المحن والمشاكل التي عانى منها مجتمع السودان الغربي، وللتغلب على هذه الظاهرة نجد أن أحمد بابا قد نحي منحي اجتماعياً مهماً حينما ألزم المالك بإثبات عبودية من يدعي ملكيته، وليس أن يثبت العبد حريته، لأن الأصل في الإنسان الحرية، وأن عبوديته موضع شك، خاصة في ظل وجود حالات الإغارة وبيع الأحرار التي انتشرت في مجتمع السودان خاصة مجتمع صنغي في القرن العاشر الهجري (٥٢).

كما أنكر العلماء العادات المحلية، وخاصة أعمال السحر والكهانة، وهي من العادات التي كانت متأصلة في مجتمع السودان الغربي، فكانوا يحاولون إقناع السحرة بالبعد عن تلك العادة، وإذا فشلوا في إقناعهم يقومون بتحريض الحكام على قتل هؤلاء السحرة، فهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه تلك الظواهر التي انتشرت، وكان موقفهم صارماً ومتشدداً وذلك لإحياء الدين الصحيح (٥٣).

وعلى الرغم من تلك الجهود التي بذلت في إصلاح المجتمع، إلا أن بعض العلماء قد تخلوا عن دورهم، فقد كان بعض العلماء لديهم كبرياء، فاستأثروا برأيهم ورفضوا رأي القضاة والفقهاء الآخرين، حتى ولو رأى هؤلاء الفقهاء موافقاً للشرع الإسلامي، كانت غيرة بعض الفقهاء الآخرين وتكبرهم واستئثارهم برأيهم، تدفعهم إلى تحريضهم على عدم السماع العلماء المصلحين (٥٤)، وظل الإسلام والمعتقدات التقليدية لمجتمع السودان الغربي يسيران في خط متواز لفترة طويلة، إلى أن نجح الإسلام في تغيير الكثير من عادات المجتمع (٥٥).

وقد خطت الثقافة العربية الإسلامية تدريجياً خطوات واسعة في منطقة السودان الغربي، فقضت على معظم العادات الاجتماعية ذات الجذور المحلية من سحر وشعوذة ومبالغات في عبادة الأسلاف والانتساب إلى الأمهات دون الآباء، كما غرست في مجتمع الأمانة والمواظبة على الصلوات والالتزام بها في جماعة، والاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم لأبنائهم (٥٦).

المبحث الثالث: الدور الاجتماعي للعلماء في دولتي مالي وصنغي:

تمتع العلماء بمكانة بارزة لدى سلاطين الدولة، ونظراً لما تمتع به هؤلاء العلماء من مكانة اجتماعية مرموقة، قاموا بدور اجتماعي كبير في هذا المجتمع منها:

المطلب الأول: محاربة الظلم والفساد:

تعرض مجتمع السودان الغربي لكثير من الظلم على أيدي بعض الحكام، وخاصة سني علي حاكم صنغي الذي أحدث كثيراً من الظلم داخل هذا المجتمع، وقتل كثيراً من الناس وسفك دماءهم، وقتل من بقي من أهل مدينة تنبكت بالمدينة، وأهان أهلها وذلك حين غزاها عام ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م بدعوى أنهم أصحاب الطوارق (٥٧)، بالإضافة إلى قتله العلماء، ولكن هناك بعض العلماء الذين قاموا بأداء فريضة الحج في ذلك الوقت، فقاموا بدور بارز في محاربة هذا الظلم بالدعوة على هذا الظالم في يوم عرفة بأن يهلكه الله عند ووصوله إلى بلاد كرم،

انطلق عليه سيل عظيم، وقيل أنه هلك نتيجة دعوة هؤلاء الحجاج عليه في يوم عرفة، ومات في نفس العام الذي دعا عليه [٥٨].

المطلب الثاني: إسهام العلماء في نشاط المجتمع الخيري:

حث القرآن الكريم المسلمين على أفعال الخير، ونظراً لقيمة الأعمال الخيرية والتطوعية، وأصبح العلماء قدوة اقتدى بهم من جاء بعدهم، ولهذا تمكنوا من القيام بدور كبير في القيام بأعمال الخير وأوجه البر والإحسان، فقد وردت آيات كثيرة وأحاديث شريفة تشيد وتنوه بالذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، ومنها:

- قوله تعالي " الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " [٥٩].

وأعطي الفقيه الصالح أبو عبدالله القاضي مودب محمد الكابري ألف مثقال ذهباً، ففرقه بين الفقراء علي باب مسجد سنكري في الوقت الذي كانت توجد فيه مجاعة بين أفراد المجتمع [٦٠]، وكذلك الفقيه عريان الرأس من أصحاب البر، وخرج من ماله كله صدقة لله، ويأتيه النذور فلا يمسك منها شيئاً، بل يتصدق بها للفقراء والمساكين [٦١].

وبذلك اعتني العلماء بنشر المزيد من الخدمات الاجتماعية عن طريق بناء المساجد وإعادة ترميم القديم منها، والتي تتكون من أكثر من طابق [٦٢]، فالفقيه القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن أقيت (ت ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م) بعد عودته من أداء فريضة الحج شرع في إعادة ترميم مسجد سنكري بمدينة تنبكت، وشرع أيضا في إعادة بناء المسجد الجامع عام ٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م ومسجد سوق تنبكت، وأنفق في بناء هذه المساجد الثلاثة ما لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالي طلباً للأجر والثواب، وقيل أنه كان يدفع كل يوم سبعة وستين مثقالاً إلا ثلثاً وهو ما يقرب من أربعة وستين مثقالاً حتى انتهى الترميم [٦٣].

المطلب الثالث: الإصلاح بين الناس وإرساء أسس التكافل الاجتماعي:

كما شارك بعض العلماء في الإصلاح بين الناس، إذ تصدى القاضي محمود بن عمر أقيت للفتنة التي قامت بين أسكيا موسي وأخوته، فعندما لقي أسكيا موسي في بلد ثري عرض عليه الصلح بينه وبين إخوته بسبب الصراع على العرش في دولة صنغي، فلما جلس عنده استدبر القاضي محمود بن عمر أسكيا موسي، ولم يقابله بوجهه، وطلب القاضي محمود من أسكيا موسي أن يقوم بالصلح بينه وبين أخوته، ويجنب البلاد عواقب الفتنة؛ لما فيها من قطع صلة الرحم والفساد في الأرض، فاستجاب له أسكيا موسي [٦٤].

وهذا يوضح قوة القاضي محمود بن عمر وشدته في دين الله، فلا يخاف في الله لومة لائم؛ وعدم خوفه من أسكيا موسي الذي أصبح سلطان الدولة بعد خلعه لولده أسكيا محمد.

كما كانوا يساعدون الفقراء والمساكين، فكانوا حريصين على حث الأثرياء على الصدقة على المساكين، وتولى هؤلاء القضاة الإشراف على من يعمل على جمع هذه الصدقات، وكانوا يشرفون أيضا على صرفها لمستحقيها من الفقراء، فقد كان القاضي محمود بن عمر أقيت حريصاً على زيادة هذه الصدقات، وقد بلغ ما أعطوه لهذا القاضي في أحد الأعوام سبعمائة مثقال من الذهب [٦٥].

وفي محاولة من أحد العلماء لإرساء أسس التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع، نجد أن القاضي محمود بن عمر أقيت عندما سئل عمن ليس له شيء إلا ثوبان هل تجب عليه زكاة الفطر أم لا؟ فأجاب القاضي بأن يبيع أحد الثوبين ويخرج الزكاة [٦٦]، مما يدل ذلك على مدى الدور الاجتماعي لهؤلاء القضاة في مساعدة الفقراء.

ومما سبق يتضح دور العلماء الاجتماعي في دولتي مالي وصنغي، والذي تميز بالإصلاح من أجل تنقية الدين الإسلامي، وحل المشاكل الاجتماعية والقضاء على الظواهر السلبية وأيضاً العادات الوثنية ونشر العقيدة الإسلامية.

الخاتمة:

كان العلماء دور بارز وكبير في مجتمع دولتي مالي وصنغي، وكان لهم الاحترام والتقدير من جميع طبقات المجتمع سواء كانت العامة أو الخاصة، فقد كان لهم دور في التصدي للعادات والتقاليد الوثنية التي كانت سائدة في مجتمع دولتي مالي وصنغي، وكان لهم دور ايجابي اتجاه خدمة المجتمع، منها محاربة الظلم والفساد، وإرساء أسس التكافل الاجتماعي بين طبقات المجتمع، وحث الطبقة الخاصة على مساهمة في النشاط الخيري؛ فكانوا لا يخشون في الله لومة لائم.

وخلاصة القول أن القضاة والعلماء والفقهاء حظوا بمكانة رفيعة وإجلال كبير في دولتي مالي وصنغي، بل في السودان الغربي بأكمله، والذي وصل أحيانا حد التقديس؛ ولهذا كانت كلمتهم مسموعة لدى كافة الناس، سواء حاكم أو محكوماً، كما أن هذه المكانة جعلت الناس يثقون بهم ويسندون إليهم عدة مهمات ويعتبرونهم الوسطاء بينهم وبين الحكام، فقد كان لهم دور كبير في إصلاح المجتمع.

وأيضاً احترام الحكام وتقديرهم للقضاة والعلماء، وقد أسهم هذا الاحترام في علو مكانة العلماء والقضاة، الأمر الذي جعلهم لا يخشون في الله لومة لائم؛ فكانوا لا يخشون السلطان، رغم محاولات التودد والتقرب إليهم.

الملاحق

خريطة (١) دولة مالي نقلا عن شوقي خليل: أطلس دول العالم، ص ١٠٢.

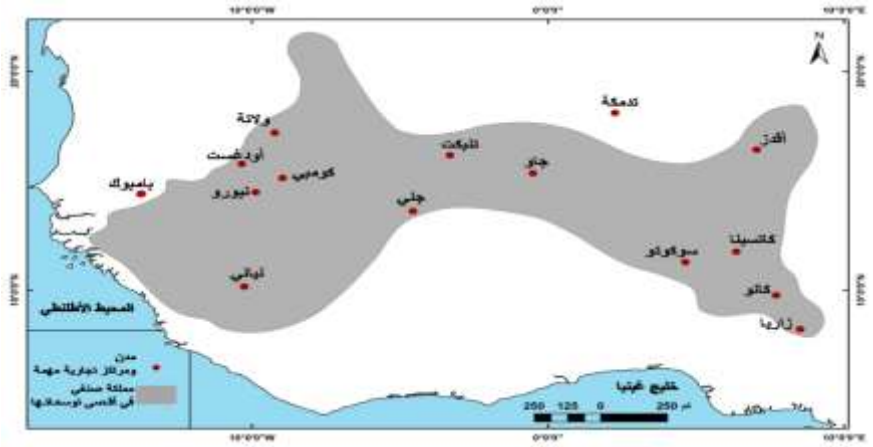

خريطة (٢) دولة صنغي

Willard, Alice Louise: Rivers Of Gold, Oceans Of Sand: The Songhay In The West African World- System, PHD, The John Hopkins University, Mary Land, U.S.A, 1999, P. 379.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات:

- أحمد بابا التنبكتي: كتاب الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان، مخطوطة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مدينة تنبكت، مالي، تحت رقم ٢٥.
- محمود بن عمر بن محمد أقيت: أجوبة على مسائل مهمة، مخطوط محفوظة ضمن مشروع الحفاظ على المخطوطات والتراث والثقافة الإسلامية، تحت رقم ١٥٧.

ثانياً: المصادر العربية:

١. القرآن الكريم.

٢. ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧ هـ.

٣. ابن دواد: سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د.ت.

٤. ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الناشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

٥. ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١ م.

٦. أحمد بابير الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، دراسة وتحقيق الهادي المبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية العربية الليبية، بنغازي، ط ١، ٢٠٠١ م.

٧. تمام بن محمد الرازي: الفوائد، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

٨. السعدي: تاريخ السودان، نشره هوداس، مطبعة إنجي، باريس، ١٨٩٨ م.
٩. السيوطي: الحاوي للفتاوى، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
١٠. الطبراني: مسند الشاميين، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م.
١١. العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
١٢. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م.
١٣. محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ١٩٧٤ م.
١٤. محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودوفلاس، مطبعة إنجي، باريس، ١٩١٣ م.

ثالثاً: المراجع العربية:

١. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠ م.
٢. إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣ م.
٣. أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني " إمبراطورية مالي " ١٢٣٠ – ١٤٣٠ م، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولي، ١٩٩٩ م.
٤. جوزيف كي زيربو: تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة عقيل الشيخ حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

٥. حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
٦. حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ م.
٧. سحر عنتر محمد أحمد مرجان: فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (٦٢٨ - ١٠٠٠ هـ / ١٢٣٠ - ١٥٩١ م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
٨. عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ١٤٩٣ - ١٥٩١ م، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٠ م .
٩. قمر الدين محمد فضل الله: لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية ١٤٦٨ - ١٥٩١ م، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الخامس، طرابلس، ١٩٨٤ م.
١٠. محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، إشراف نقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٦٠.
١١. محمد عبد الله النقيرة: التأثير الإسلامي في غرب إفريقيا، الرياض، مطبعة الفرزة، ط ١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
١٢. محمود سلام زناتي: الإسلام والتقاليد القبلية في أفريقيا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩ م.
١٣. مسعود عمر علي: تأثير الشمال الأفريقي علي الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، الطبعة الأولي، ٢٠٠٣ م.

١٤. مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.

رابعاً: المصادر والمراجع الأجنبية:

- Jackson, J. J: History of the Black Man, History of the Black Kingdoms of Ghana, Melle, Songhay, and Hansas and the Early American Negro, Belle Fontaine, Ohio, 1921.
- Oliel, Jacop: Les Juifs Au Sahara Le Tauat Au Moyen Age, Bibliotheque Centre De Documentation Saharienne Ghardaia, 1999.

خامساً: الدوريات العربية:

١. سوزي أباظة: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي (٨٩٨ – ٩٩٩ هـ / ١٤٩٣ – ١٥٩١ م)، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢٨، يناير ٢٠٠٥ م.

٢. سوزي أباظة: صورة لمجتمع غرب أفريقيا من خلال أسئلة اللمتوني والأسكيا، ندوة الإسلام والمسلمون في أفريقيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٨ م.

٣. سينيكي مودي سيسوكو: الصنغي من القرن الثاني عشر إلي القرن السادس عشر، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، اليونسكو، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م.

٤. كرم الصاوي باز: البيت والعائلة السنغائية زمن أسرة الأسكيين ٨٩٩ – ١٠٠٠ هـ / ١٤٩٣ – ١٥٩١ م، بحث ضمن ندوة المجتمعات الأفريقية تطورها التاريخي ودورها الحضاري حتي مطلع القرن الحادي والعشرين، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥.

٥. مادينا لي تال: تدهور إمبراطورية مالي، المجلد الرابع، تاريخ أفريقيا العام، أفريقيا من القرن الثاني عشر إلي القرن السادس عشر، المشرف على المجلد: ج. ت. نياني، اليونسكو، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م.

سادساً: الدوريات الأجنبية:

- Abitbol, Michel: The Religious Élite Of Timbuktu, The Journal Of African History, Vol. 25 , No. 4, 1984.
- Baxter P. T. W: Book review of la religion et la Magie Songhay, Man Journal, Vol. 62, Sep. 1962, publishing by royal anthropological institute of great Britain and Ireland.
- Blyden, Edward, W: Islam in western Sudan, Vol. 2, No. 5, Oct. 1902.
- Clarke, John Henrik: The search for Timbuctoo, the Journal of Negro Education, Vol. 33, No. 2, Spring, 1964.
- Hiskett, Mervyn: An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the sixteenth to the eighteenth century, Bulletin of the school of oriental and African studies, University of London, Cambridge university press, Vol. 25, No. 1⁄3, 1962.

سابعاً: الرسائل العلمية:

١. إيهاب شعبان عبد الشافي سالم: القضاء في دولتي مالي وصنغي وأثره الحضاري في المجتمع (٦٣٦ – ١٠٠٠ هـ / ١٢٣٨ – ١٥٩١ م)، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م، تحت رقم ٢٠٥ / ٧.

٢. عبد الباقي محمد أحمد كبير: الدول الإسلامية في غرب أفريقيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، جامعة الأزهر، ١٩٩٨ م.

٣. فاي منصور علي: دولة مالي الإسلامية في عصرها الذهبي على عصر السلطان منسا موسي ٧١٢ ـــ ٧٣٨ هـــ / ١٣٢١ ـــ ١٣٣٧ م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ١٩٨٨ م.

الهوامش والإحالات

(١) Abitbol, Michel: The Religious Élite Of Timbuktu, The Journal Of African History, Vol. 25 , No. 4, 1984, P. P. 469 – 470.

(٢) سورة فاطر، الآية رقم ٢٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية رقم ١١.

(٤) أبي دواد: سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د.ت، ج ٣، ص ٣١٧؛ الطبراني: مسند الشاميين، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـــ / ١٩٨٤ م، ج ٢، ص ٢٢٤.

(٥) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٤١٧ ه، ج ٤، ص ٢٦٠.

(٦) محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشره هوداس ودوفلاس، مطبعة إنجي، باريس، ١٩١٣ م، ص ٣٥.

(٧) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٣٥.

(٨) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج ٤، ص ٢٦٤.

(٩) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٧٣.

(١٠) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٠٨؛ كرم كمال الدين الصاوي باز: البيت والعائلة السنغائية زمن أسرة الأسكيين ٨٩٩ – ١٠٠٠ هـ / ١٤٩٣ – ١٥٩١ م، بحث ضمن ندوة المجتمعات الأفريقية تطورها التاريخي ودورها الحضاري حتي مطلع القرن الحادي والعشرين، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥ م، ص ١٦، ٢٣.

(١١) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٨٨ – ٨٩.

(١٢) سوزي أباظة: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي (٨٩٨ – ٩٩٩ هـ / ١٤٩٣ – ١٥٩١ م)، مجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢٨، يناير ٢٠٠٥ م، ص ٣٦٦.

(١٣) تمام بن محمد الرازي: الفوائد، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ج ٢، ص ١٩٦، ورد الحديث بصيغة ثانية وهي " صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس، الأمراء والفقهاء "، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، الناشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م، ج ١، ص ٦٤١.

(١٤) مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غرب إفريقيا، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، عام ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٥٣٣ ـــ ٥٣٤.

(١٥) سحر عنتر محمد أحمد مرجان: فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (٦٢٨ ـــ ١٠٠٠ هـ / ١٢٣٠ ـــ ١٥٩١ م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولي، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م، ص ٢٠٧.

(١٦) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠ م، ص ١٤٣؛ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٢١١.

(١٧) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني " إمبراطورية مالي " ١٢٣٠ ـــ ١٤٣٠ م، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولي، ١٩٩٩ م، ص ٢٣٠؛ سحر عنتر: فقهاء المالكية، ص ٢١٢.

(١٨) محمد بن عبد الكريم المغيلي: أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ١٩٧٤ م، ص ١١ ـــ ١٢؛ إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي وأثره الحضاري في المجتمع (٦٣٦ ـــ ١٠٠٠ هـ /

١٢٣٨ ـــــ ١٥٩١ م)، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ١٤٣٣ هـــــ / ٢٠١٢ م، تحت رقم ٢٠٥ / ٧، ص ١١٧.

(١٩) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٨٠؛ إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣ م، ص ١٥٠؛ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ١٤٩٣ ـــــ ١٥٩١ م، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٠ م، ص ١٠٣.

(٢٠) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج ٤، ص ٢٦٥؛ محمد عبد الله النقيرة: التأثير الإسلامي في غرب إفريقيا، الرياض، مطبعة الفرزة، ط ١، ١٤٠٨ هـــــ / ١٩٨٨ م، ص ٢٤١.

(٢١) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ م، ج ٥، ص ٢٨٥.

(٢٢) السعدي: تاريخ السودان، نشره هوداس، مطبعة إنجي، باريس، ١٨٩٨ م، ص ٥٨ ـــــ ٥٩؛ مسعود عمر محمد: تأثير الشمال الأفريقي علي الحياة الفكرية في السودان الغربي فيما بين القرنين الثامن والعاشر الهجريين الرابع عشر والسادس عشر الميلاديين، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، الطبعة الأولي، ٢٠٠٣ م، ص ١٤١؛ إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي، ص ١٦١.

(٢٣) Clarke, John Henrik: The search for Timbuctoo, the Journal of Negro Education, Vol. 33, No. 2, Spring, 1964, P. 127; Jackson, J. J: History of the Black Man, History of the Black Kingdoms of Ghana, Melle, Songhay, and Hansas and the Early American Negro, Belle Fontaine, Ohio, 1921, P. 13.

(٢٤) Mervyn, Hiskett: An Islamic Tradition of Reform in the Western Sudan from the sixteenth to the eighteenth century, Bulletin of the school of oriental and African

studies, University of London, Cambridge university press, Vol. 25, No. 1⁄3, 1962, P. 578,

إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي، ص ١٢٤.

(٢٥) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٢٦) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني في إمبراطورية مالي، ص ٢٣١.

(٢٧) ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١ م، ص ١٣٢.

(٢٨) ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، ص ٢٨٧؛ إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي، ص ١٢٥.

(٢٩) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني في إمبراطورية مالي، ص ٢٣٢.

(٣٠) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١١٤؛ سينيكي مودي سيسوكو : الصنغي من القرن الثاني عشر إلي القرن السادس عشر، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الرابع، اليونسكو، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م، ص ٢١٩؛ مادينا لي تال: تدهور إمبراطورية مالي، المجلد الرابع، تاريخ أفريقيا العام، أفريقيا من القرن الثاني عشر إلي القرن السادس عشر، المشرف على المجلد: ج. ت. نياني، اليونسكو، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٨٨ م، ص ١٩٠.

(٣١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٨٠.

(٣٢) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج ٤، ص ٢٤٥؛ المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ٦٣.

(٣٣) عبد الباقي محمد أحمد كبير: الدول الإسلامية في غرب أفريقيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، قسم التاريخ، جامعة الأزهر، ١٩٩٨ م، ص ٣٦٩.

(٣٤) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج ٤، ص ٢٦٥ ـــ ٢٦٦؛ السيوطي: الحاوي للفتاوى، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، ص ٣٣٩.

(٣٥) حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ م، ص ٢٣٣؛ محمود سلام زناتي: الإسلام والتقاليد القبلية في أفريقيا، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٩ م، ص ١١.

(٣٦) محمود سلام زناتي: الإسلام والتقاليد القبلية في أفريقيا، ص ١٤.

(٣٧) جوزيف كي زيربو: تاريخ أفريقيا السوداء، ترجمة عقيل الشيخ حسين، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م، ص ١٤٥.

(٣٨) أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني في إمبراطورية مالي، ص ٢٣٢ ـــ ٢٣٣.

(٣٩) العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ، ج ٤، ص ١١٩؛ أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني في إمبراطورية مالي، ص ٢٣٣.

(٤٠) المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ٣٥ ـــ ٣٦، ٤٣.

(٤١) المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ٤٣ ـــ ٤٤؛ سوزي أباظة: صورة لمجتمع غرب أفريقيا من خلال أسئلة اللمتوني والأسكيا، ندوة الإسلام والمسلمون في أفريقيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٨ م، ص ٦٥.

(٤٢) السيوطي: الحاوي للفتاوى، ص ٣٣٧.

(٤٣) السيوطي: الحاوي للفتاوى، ص ٣٤٢.

(٤٤) السيوطي: الحاوي للفتاوى، ص ٣٣٧؛ فاي منصور علي: دولة مالي الإسلامية في عصرها الذهبي على عصر السلطان منسا موسي ٧١٢- ٧٣٨ هـ / ١٣٢١ - ١٣٣٧ م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر ١٩٨٨ م، ص ٦٤.

(٤٥) سينيكي مودي سيسوكو : الصنغي من القرن الثاني عشر إلي القرن السادس عشر، ص ٢١٨.

(٤٦) أحمد بابا التنبكتي: كتاب الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان، مخطوطة بمعهد أحمد بابا التنبكتي، مدينة تنبكت، مالي، تحت رقم ٢٥، ورقة ٤.

(٤٧) إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي، ص ١٣٩.

(٤٨) جوزيف كي زيربو: تاريخ أفريقيا السوداء، ص ١٤٥.

(٤٩) وصف بعض المستشرقين في كتاباتهم الفقيه المغيلي بالمتشدد والثوري، ولكن نرى أن هذه الصفات غير صحيحة، وكان من أسباب اتهام المغيلي بالتشدد هو موقفه من اليهود، حيث هاجر بعد عام ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م مدينة توات، والتقي في مدينة جاو بالسلطان الأسكيا محمد، ونقل إليه خبر وفاة ابنه محمد بن عبدالجبار على أيدي يهود توات، وطلب المغيلي من الأسكيا وقف نشاط يهود توات الموجودين في جاو، وذلك انتقاماً لموت ابنه، لكن الأسكيا تراجع عن ذلك القرار بعد تدخل بعض قضاة المدينة ومنهم القاضي محمود بن عمر أقيت الذي اعترض على إيقاف نشاط اليهود لأنهم لم يفعلوا شيئاً ،

Oliel, Jacop: Les Juifs Au Sahara Le Tauat Au Moyen Age, Bibliotheque Centre De Documentation Saharienne Ghardaia, 1999, PP. 122 – 123.

(٥٠) المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ٦٧.

(٥١) المغيلي: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ٦٣؛ سحر عنتر: فقهاء المالكية، ص ٢١٩.

(٥٢) أحمد بابا: كتاب الكشف والبيان لأصناف مجلوب السودان، ورقة ٧ ـــ ٨.

(٥٣) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٨٠.

(٥٤) السيوطي: الحاوي للفتاوى، ص ٣٤١ ـــ ٣٤٢؛ إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي، ص ١٤٤.

(٥٥) Baxter P. T. W: Book review of la religion et la Magie Songhay, Man Journal, Vol. 62, Sep. 1962, publishing by royal anthropological institute of great Britain and Ireland, P. 142.

(٥٦) قمر الدين محمد فضل الله: لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية ١٤٦٨ ـــ ١٥٩١ م، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الخامس، طرابلس، ١٩٨٤ م، ص ٢٢٢.

(٥٧) السعدي: تاريخ السودان، ص ٦٥.

(٥٨) السعدي: تاريخ السودان، ص ٧١؛ محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، إشراف نقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٦٠ م، ص ٥٥.

(٥٩) سورة البقرة، الآية رقم ٢٦٢.

(٦٠) السعدي: تاريخ السودان، ص ٤٧.

(٦١) السعدي: تاريخ السودان، ص ٥٢.

(٦٢) Blyden, Edward, W: Islam in western Sudan, Vol. 2, No. 5, Oct. 1902, P. 29.

إيهاب شعبان عبد الشافي: القضاء في دولتي مالي وصنغي، ص ١٦٥.

(٦٣) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٢١ ـــ ١٢٢؛ أحمد بابير الأرواني: السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، دراسة وتحقيق الهادي المبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية العربية الليبية، بنغازي، ط ١، ٢٠٠١ م، ص ٧٢؛ سينيكي مودي سيسوكو : الصنغي من القرن الثاني عشر إلي القرن السادس عشر، ص ٢١٩.

(٦٤) محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٧٦ ـــ ١٧٧؛ السعدي: تاريخ السودان، ص ٨٢.

(٦٥) سوزي أباظة: القضاء في صنغاي، ص ٣٦٠.

(٦٦) محمود بن عمر أقيت: أجوبة على مسائل مهمة، مخطوط محفوظة ضمن مشروع الحفاظ على المخطوطات والتراث والثقافة الإسلامية، تحت رقم ١٥٧، ورقة ١.